من أسرار النون في القرآن الكريم

الأستاذ : قارة حدّاش
جامعة السانية -وهران

أولا: تمهيد: أول و أهم ملاحظة تتميّز بها الأصوات العربية تنوّعها، بحيث لايشبه صوت غيره ؛ فإن تشابها في مخرجهما اختلفا في صفة من الصفات.وإن تشابها في الصفات كلها افترقا وجوبا في المخرج، و التنوّع سنة من سنن خلق الكون.

حيث يقول جلّ جلاله في محكم تنزيله :" ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ فاطر: ٢٧ - ٢٨

فهذا التنوّع في الخلق يكتشفه الباحث عن أسرار الكون المهتم بها ،و العاشق لحلاوة متاعبها . فيكتشفها فتنبت في قلبه خشية الخالق مبدع الكون على غير مثال. فالعالم الحق في تقدير القدير الخبير الذي ينبهر بعزّة العزيز عند رؤية أسرار الخلق تتجلى أمامه، فيعود إلى الله فيجد الله غفورا. فأكثر الناس إيمانا بالله و أخشاهم له الملمّون بأسرار التنوّع الواقفون على خيوط انسجامه الكاشفون روعة تناغمه.

ولكي ندرك دقة هذا التنوّع، نمثّل لكل هذه التميّزات المحتملة :[1]

1/الاتفاق في المخرج مع التميّز في صفة واحدة:

العين والحاء : من وسط الحلق، العين مجهورة والحاء مهموسة.

الغين والخاء : من أدْنى الحلق، والغين مجهورة و الخاء مهموسة.

2/ الاتفاق في المخرج مع التميّز في صفتين اثنتين:

الجيم و الشين: هما من وسط الحنك، الجيم مجهورة وشديدة والشين مهموسة ورخوة.

الهمزة والهاء: وهما من أقصى الحلق، والهمزة مجهورة و شديدة والهاء مهموسة ورخوة.

3/ الاتفاق في المخرج مع التميّز في ثلاث صفات:

الزاي والطاء: وهما من أصول الثنايا، و الزاي مجهورة و رخوة ومرققة و الطاء مهموسة و شديدة و مطبقة.

4/ الاتفاق في كل الصفات مع التميّز في المخرج:

الثاء و الفاء: يتشابهان في كل الصفات من همس و رخاوة و ترقيق لكنهما يختلفان في المخرج، فالثاء من أطراف الثنايا و الفاء صوت شفوي أسناني.

التاء والكاف: يتشابهان في كل الصفات من همس وشدّة وترقيق ولكن التاء من أصول الثنايا والكاف من أقصى الحنك.

هذا الاختلاف والتفرّد والتميّز والتنوّع في المخرج والصفات بين الأصوات اللغوية العربية يشعر الباحث أنّ هذه الأصوات تترتّب في الجهاز الصوتي عند الإنسان ترتيبا هندسيا محكما لا يسمح بأي تداخل أو خلط.

و ثاني تميّز تتحلى به هذه الأصوات التناظر؛ فكل صوت يناظر غيره في صفة واحدة أو في صفتين أو في أكثر من ذلك أو في المخرج و التناظر هندسة و جمال و هو سنة في الخلق حيث يقول جلّ ثناؤه:

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾ النجم: ٢٥ ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾ النجم: ٤٣ ـ ٤٥

و اللغة هي أول نعمة أنعمها الله على آدم عليه السلام, قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ البقرة: ٣١

و هي آخر نعمة أنعمها الله على رسوله و على الناس كافة, تتجلى في قرآنه العظيم ، قال تعالى:" ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ سبأ: ٢٨

و هل هنا كأعظم من نعمة الإسلام و القرآن و محمد صلى الله عليه و سلّم و على آله و صحبه أجمعين ؟.

في هذه اللوحة البسيطة، أحاول أن أبيّن تنوّع الأصوات و تناظرها في الجهاز الصوتي العربي. و بالإضافة إلى ذلك جعلتها في عائلات صوتية لانسجامها في تعاملاتها في صناعة الجذور و في نظم الكلام، و خاصة في نظم القرآن.

العائلات الصوتية .[2] تنوّع و تميّز و تناظر

الأصوات المجهورة

المخرج ↓ / الصفات ←	شديد		رخو		متوسط	لين
	مرقق	مطبق	مرقق	مطبق		
حلقي	الهمزة		الغين العين			
لساني	القاف الجيم الدال الباء	الضاد	الذال الزاي	الظاء	الميم الراء اللام النون	الياء الواو الألف

الأصوات المهموسة

المخرج ↓ / الصفات ←	شديد		رخو			
	مرقق	مطبق	مرقق	مطبق		
حلقي			الهاء الخاء الحاء			
لساني	الكاف التاء	الطاء	الشين الثاء الفاء السين	الصاد		

ثانيا:بين التنفس و الكلام:

تقول العرب:" اللغة العربية لا تبدأ إلاّ بمتحرك، و لاتنتهي إلاّ بساكن"

فما العلة في هذا القول ؟ و ما الحكمة منه ؟؟

و للإجابة عن هذا التساؤل, لا بد من قبض الموضوع في منبته الأول ,عند مصدره,عند نشأة الكلام.

الزفير يناظر الشّهيق، و هو ظلّه الذي يتعقّبه، و لا يفارقه. يبدأ الشهيق أولا بعد ولادة المولود و يعقبه الزفير حثيثا يلاحقه، إلى آخر زفرة تكون هي النهاية. لكل واحد منهما ثمرة، فثمرة الشهيق الحياة و الوجود، و ثمرات الزفير الكلام. ثمرة الشهيق متصلة متواصلة و ثمرات الزفير متقطعة غير متواصلة. يقول مبارك حنون:" إنّ الوظيفة الأولية للجهاز التنفسي الإنساني لا تكمن في توفير الهواء من أجل انتاج الكلام. فالأوكسجين المنقول إلى تيار الدم هو الوظيفة الوجودية الأولية للجهاز التنفسي، بينما يعد إنتاج الكلام وظيفة ثانوية. إنّ النشاط التنفسي الثابت ضروري للبقاء على قيد الحياة و في غياب الكلام هناك نموذج سلوكي متطور يكون فيه الشهيق متلوا بالزفير وذلك عندما تتمدد الرئتانو تفرغان بصفة تعاقبية، فيجبر الهواء على الدخول و الخروج عبر الأنف و الفم و الحلق والقصبة الهوائية". [3]

التنفس كلّه الحياة، و الكلام نصف التنفس، و هو مرتبط بخروج الهواء الفاسد من الرئتين فهو دفع و خروج وانطلاق إلى الفضاء الخارجيّ.

قال تعالى:" ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠ ﴾ فاطر: ١٠

و يقول الرّسول صلى الله عليه و سلم:**"عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: لقد سألت عظيما وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ النار الماء، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم قرأ (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) حتى بلغ (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى فأخذ بلسانه فقال: تكف عليك هذا، قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكبّ الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟**

أحسن التنفس يتولد عنه أحسن الكلام، و أحسن الكلام لا يكون ثقلا على التنفس. و أحسن التنفس ما كان شهيقه من الأنف، لأن مجرى الأنف أضيق من مجرى الفم و ملء الرئتين كما ينبغي لهما هواء، لا بد أن يكون من المجرى الضيّق ليؤمّن الضغط اللازم لملء الرئتين بالهواء النقيّ، لأن في الأنف شعيرات تحبس الشوائب العالقة بالهواء.و أحسن الكلام ثمرة أحسن الخروج، و أحسن الخروج من الأنف في حالة الصمت و التفكّر، و أحسن خروج للكلام من الفم و الأنف. يكون الخروج من الفم لانتاج الأصوات، و يكون الخروج من الأنف لانتاج النون و الميم للترنّم و التطريب و للتحكم في مدة إفراغ الرئتين من الهواء و لحبس دخول الهواء الجديد من الأنف حتى نهاية الزفير. خروج الهواء من وسط الفم لانتاج الأصوات أمر طبيعي لا يحتاج إلى توجيه و تحكم، و لكنّ إخراج الهواء من الأنف للتحكم في مدة إفراغ الرئتين، و في الوقت ذاته حبس دخول الهواء الجديد إليهما حتى الاستراحة و إفراغ كامل للهواء، هو الذي يحتاج إلى توجيه. فكيف نضطرّ الزفير إلى التّسرّب عبر مجرى الأنف؟!
فالعلة إذن تتمثل في العلاقة بين التنفس والكلام؛ أي بين بداية الزفير و نهايته .

فكيف تبدأ بساكن و هي في انطلاق الزفير و الزفير في أوجّ قوته بعد استراحة الشهيق و كيف تنتهي بمتحرك والزفير آيل إلى نهايته و أنقطاعه؟! المتحرك تحرّك و قوة فهو يلائم انطلاق الزفير و الساكن سكون و توقف فهو يلائم نهاية الزفير. فأضعف الحركات أقوى من السكون . و لهذا العربية لا تبدأ بساكن و لا تنتهي بمتحرك، فهي طبيعية تساير بداية خروج الهواء و انتهاءه و لو كانت غير ذلك لكانت ثقلا على التنفس و شوّشت عليه تناغمه و دحرجت رتابته و انزعج الكائن الحيّ. و خرجت عن المنطق السليم .

الكلام أصوات صامتة و صائتة، و الصائتة قصيرة و طويلة و الصامتة خفيفة و ثقيلة فأحسن الكلام المنسجم في حركاته و سكانته، المعانق لقوة الزفير في بدايته و المفارق له عند ضعفه في نهايته. تضافر أحسن التَّنفس مع أحسن الكلام إشراقة في وجه المرتِّل و انسجام في مقاطع و تقاطع خطوط الحسن و الجمال في صفحة وجه وشفاه و لسان و خدود و جبهة و أنف و حاجبي قارئ القرآن المنساب في نداوة و طراوة. التّضافر هذا راحة وحسن و نور أثناء القراءة، و طول نفس عند الإطالة المضنية و نظرة مريحة عند المنصت إليه، خالية من كلِّ انزعاج أو شفاقة و شدّ برفق للرؤية و الإنصاتِ و الإمعان.

وهذه هي الحكمة البالغة فالقوي تلائمه البداية القوية والضعيف تحتضنه النهاية ليستريح و ينهض من جديد مع الشهيق و استمرار الحياة .

ثالثا : خصائص النون:

يقول ابن جنّي :"النون حرف مجهور أغنّ, يكون أصلا و بدلا وزائدا "[4]

ويقول إبراهيم أنيس :" النون صوت مجهور متوسط بين الشدّة والرخاوة"[5]

ويقول في موضع آخر:" ويعرضُ للنون من الظواهر اللغوية ما لا يشركه فيه غيرها لسرعة تأثرها بما يجاورها من أصوات ولأنها بعد اللام أكثر الأصوات الساكنة شيوعا في اللغة العربية والنون أشدُّ ما تكون تأثراً بما يجاورها من أصوات حين تكون مشكّلة بالسكون " [6]

الأصل الذي لا يجب العدول عنه في نطق الأصوات اللغوية العربية لغة القرآن الكريم الإظهار.

يقول مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ):

«اعلم أنَّ الإظهار في الحروف هو الأصل والإدغام دخل لعلة تذكر»[7].

الأصوات العربية تتصف بالتفرّد و التّميز، ولا يمكن لأيّ صوت أن يشبه غيره في اللغة العربية.

فالنون صوت ينتمي إلى عائلة صوتية متميّزة بصفاتها ؛ الجهر والتوسط والترقيق وإخوتها في هذه العائلة على التوالي من حيث الخفّة والسّهولة في التعامل مع الأصوات الأخرى : النون واللام والراء والميم. فهي تتدرج صعودًا من الخفّة والسهولة إلى الثقل والقوة. فأخفُّ الأصوات المتوسطةو أسهلها تعاملا مع الأصوات الأخرى النون، ثم يليها اللام ثم يأتي بعد اللام الراء ثم يأتي على رأسها الميم.فالميم أقوى هذه الأصوات.و اختلاف مخارج هذه الأصوات الأربعة هو الذي يميزها عن بعضها بعض، فهي أكثر الأصوات وضوحا و أكثرها ائتلافا ودوراناً في اللغة العربية.

الدليل على خفّة النون وسهولتها في التعامل مع الأصوات الأخرى، و خاصة مع أفراد عائلتها، هو تدرجها صعودا وارتفاعا من درجة إلى أخرى أي من صوت إلى آخر حتى تصل إلى أعلى درجة وهي درجة صوت الميم.

فهي لا تتحرك من صوت إلى آخر إل إذا كانت ساكنة، وكذلك كل الأصوات اللغوية لا تتحرك من صوت إلى آخر إلا إذا كانت ساكنة . فإن كانت متحركة تبقى على حالها. والشواهد على هذا كثيرة، وكلها من القرآن الكريم.**قال تعالى:** قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ البقرة: ١١ [8].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ الزخرف: ٨٢ [9].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴿٥١﴾ ﴾ البقرة: ٥١ [10].

فإذا كانت ساكنة كما قدمنا تعاملت وارتفعت من درجة النون إلى درجة اللام و إلى درجة الراء ثم إلى درجة الميم ،ولا يمكن أن ترتفع إلى أعلى من هذا ،ولا يحق لها ولا ينبغي لها ذلك ، فهي في مجموعة محددة ولابد لها أن تقف عند حدود هذه المجموعة .وهنا استعملت لفظة ارتفاع أو صعود ولم تستعمل لفظة إدغام على شهرتها ، لأن القضية دقيقة في هذا التعامل الصوتي . فالمرحلة بكاملها تتم في حركتين منفصلتين الحركة الأولى تتمثل في ارتفاع النون من النون إلى ما يليها من أي صوت من الأصوات الثلاثة اللام أو الراء أو الميم ، ثم الحركة الثانية إدغام الصوت المرتفع من النون هذه إلى ما يقابله من الأصوات الثلاثة تلك .

و الشواهد على ارتفاع النون إلى ما يقابله من الأصوات كثيرة، ثم يدغم الصوت الناتج في مثله، و العملية لا تحتاج إلى شرح و توضيح، و إنّما الشاهد وحده يكفي و البداية تكون:

أولا: **ارتفاع النون إلى اللام :**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ البقرة: ١٣ [11].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴿٦٨﴾ ﴾ البقرة: ٦٨ [12].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ ﴿٧١﴾ ﴾ البقرة: ٧١ [13].

ثانيا : **ارتفاع النون إلى الراء :**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ ﴿٢٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٦ [14].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ ﴿٦٠﴾ ﴾ البقرة: ٦٠ [15].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ ﴿١٠٥﴾ ﴾ البقرة: ١٠٥ [16].

ثالثا: **ارتفاع النون إلى الميم:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴿٢٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٣ [17].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ﴿٦١﴾ ﴾ البقرة: ٦١ [18].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٧﴾ ﴾ القمر: ١٧ [19].

رابعا: **ارتفاع اللام إلى الرّاء:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٩٧ [20].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴿٥٦﴾ ﴾ الأنبياء: ٥٦ [21].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ ﴿٢٢﴾ ﴾ الكهف: ٢٢ [22].

خامسا: **ارتفاع النون إلى الميم عند مباشرتها الباء:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ البقرة: ٥٦ [23].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ البقرة: ٩٦ [24].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ البقرة: [25].

و الذي يؤكد خفة النون عن باقي الأصوات العربية هو عدم ارتفاع أي صوت إلى النون ولا يوجد شواهد على هذا.

إذا فالميم هي أرفع درجة من النون واللام والراء، لهذا يصل النون إلى أعلى مرتبة في هذه العائلة ،وهي مرتبة الميم عند مباشرتها صوت الباء؛ وهو صوت من خارج هذه العائلة الصوتية، لذلك نرى النون تلتزم بضوابط عائلتها ولا تتعداها .

هنا أشير إلى مسألة في غاية الأهمية ألا وهي تجاور الباء مع الميم في المخرج ، ولو كان للمخرج دخل في ارتفاع صوت إلى آخر لارتفعت هنا الميم إلى الباء، ولكن لا تأثير ولا دخل للمخرج في شيء من هذا. ولو كان بُعْد المخارج لا يسمح بارتفاع الأصوات إلى درجات أعلى، لما ارتفع النون إلى الميم لبعد مخرجيهما. فإذًا هذه واحدة تؤكد ألّا علاقة للمخارج منفردة في صعود الصوت إلى صوت آخر.

فالجامع بين صوتي الميم والباء هو الجهر والترقيق، والفارق بينهما هو التوسط والشدة، وهذا الفارق هو المانع لارتفاع الميم إلى الباء.

والرابط بين ارتفاع النون إلى الميم عند مباشرتها الباء، وليس صوتا آخر، هو انقسام مخرج الميم إلى نصفين، نصف يرتبط به مع الباء وهو ضمّ الشفتين ونصف يرتبط به مع النون وهو تسرب هوائه إلى مجرى الأنف.

و الجامع بين الصوتين النون واللام والنون والراء واللام والراء والنون والميم هو الذي سمح لكل صوت من هذه الأصوات بالارتفاع إلى الصوت المشابه له في الصفات، ألا وهو اتحاد المخرج و تشابه الصفات.

إذا كانت اللام لا ترتفع إلى الميم والدليل على ذلك متوفر وهذه شواهده .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴿٩٧﴾ ﴾ البقرة: ٩٧ [26].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ القمر: ١٧ [27].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ﴿١١﴾ ﴾ الجمعة: ١١ [28].

و إذا كانت الراء كذلك لا ترتفع إلى الميم والدليل على ذلك متوفر وهذه شواهده.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ ﴾ الحاقة: ٢٦ [29].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾ المعارج: ٢١ [30].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴿٢٠﴾ ﴾ المزمل: ٢٠ [31].

إذاً عدم ارتفاع كل من اللام والراء إلى الميم ، لا يزرع التحير في ترتيب هذه العائلة بل يؤكد الترتيب الأول وهو كون النون هي أخف وأسهل الأصوات المتوسطة ثم يليها صوت اللام وبعده صوت الراء وعلى رأس هذه العائلة يأتي صوت الميم.

وهنا أشير أيضا إلى مسألة في غاية الأهمية وهي تشابه اللام والراء مع الميم في الجهر والتوسط والترقيق ولم يرتفع أحدهما إلى الميم وهذا يعود إلى بعد مخرجي اللام والراء عن الميم ، فإذن بعد المخرج كذلك يمنع تعامل الصوت مع غيره .

فإذا كان قرب المخرج لا يفيد وحده في ارتفاع الميم إلى الباء و كذلك اتحاد اللام والراء مع الميم في كل الصفات لا يفيدهما في الارتفاع إلى الميم .

فإذا تضافر قرب المخرج معتشابه كل الصفات هو الذي يسمح بأي تعامل بين الأصوات، وتتفرد النون وحدها فقط عن باقي أفراد عائلتها بالصعود إلى مرتبة الواو والياء الشبيهين بأصوات اللين.

والشواهد على هذا الارتفاع ثم الإدغام في الواو أو الياء كثيرة والبداية تكون:

سادسًا: **ارتفاع النون إلى الواو :**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ الشورى: ٨ [32].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ﴾ غافر: ٢١ [33].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ الرعد: ١١ [34].

سابعا: **ارتفاع النون إلى الياء :**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ ﴿١٠٥﴾ ﴾ البقرة: ١٠٥ [35].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴿١٠٥﴾ ﴾ البقرة: ١٠٥ [36].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴿١١٦﴾ ﴾ النساء: ١١٦ [37].

إذًا قد واصل النون ارتفاعه إلى الصوتين الشبيهين باللين ، وبهذه الميزة ،قد حافظ على خفته وسهولته بين الأصوات الأكثر تعاملا و دورانا في اللغة العربية ألا وهي الأصوات المتوسطة والصوتان الشبيهان باللين ويستقر الترتيب في النهاية على هذه الصورة : النون والواو والياء واللام والراء والميم .

وما تبقى من الأصوات الساكنة فهي أثقل في تعاملها مع الأصوات الأخرى و أقل دورانا في ائتلافها في اللغة العربية و الذي يؤيد هذا و يؤكد عليه قول ابن جنّي: " فإن قيل: فلم أبدلت همزة فعلاء نونا؟ و ماالذي سَهّل ذلك و حمل عليه؟ فالجواب: أن للنون شبها بحروف اللين قويا لأشياء:

منها: أن الغنّة التي في النون كاللّين الذي في حروف اللّين. و منها: اجتماعها في الزيادة معهن، و معاقبتها لهن في الموضع الواحد من المثال الواحد و ذلك نحو شَرَنْبَث و شُرابث و جَرَنْفَس و جُرَافِس، و عَصَنْصَر و عَصَيْصَر و عَرَنْقُصان و عُرَيْقُصان ألا ترى أن النون قد عاقبت الألف و الياء في ما ذكرنا." [38]

و يقول بعد ذلك:"و حذفوها أيضا لالتقاء الساكنين في نحو:

...مِ الآنَ..... .....

..... و لاكِ اسقني.....

لم يكُ الحقُّ..... .....

كما حذفوهن لذلك في نحو غزا القوم ، و تعطي ابنك، و تصبو المرأة. و جعلوها أيضا علم الرفع في نحو يقومان ويقومون، و تقومين، كما جعلوا الواو و الألف علما له في نحو أخوك، وأبوك، و الزيدان و الزيدون، إلى غير ذلك مما يطول ذكره. فلما ضارعت النون حروف اللين هذه المضارعة، و كانت الهمزة قد أبدلت إلى كل واحدة من الألف و الياء و الواو قلبوها أيضا إلى الحرف الذي ضارعهن، وهو النون، للتصرف و الاتساع." [39]

للنون أهمية عظمى في اللغة العربية، فهو زينة الاسم و الفعل و الحرف[40]. فلا غنىً لها عنه .

فالتنوين عنوان الاسم المعرب المنصرف، وهو نون زائدة ساكنة تلحق آخر الكلمة لغير توكيد ويسمى بتنوين التمكين مثل: رجلٌ، قلمٌ، تفاحةٌ. و يقول ابن جنيّ في هذا :"و اعلم أن النون قد زيدت علامة للصرف، و هي المسماة تنوينا و ذلك نحو قولك هذا رجلٌ و غلامٌ، و رأيت رجلاً و غلاماً، و مررت برجلٍ و غلامٍ.وهذا التنوين هو نون في الحقيقة" وهناك تنوين التنكير وهو الذي يلحق بعض الأسماء المبنية فرقا بين معرفتها ونكرتها ، مثل: سيبويهْ فهو عالم النحو المعروف ، وسيبويهٍ فهو أي رجلٍ يسمى بهذا الاسم . وتنوين المقابلة وهو اللاحق لجمع المؤنث السالم مثل : مسلمات صائمات يقابل نون التي في الجمع المذكر السالم مثل : مسلمون ، صائمون.

و تنوين العوض وهو اللاحق لبعض الأسماء عوضا من حرف أصليّ ساقط مثل : جوار وخوال، جمع جارية وخالية . وتنوين الترنم وهو اللاحق للقوافي المطلقة بدلا من حرف الإطلاق كقول جرير:

أقلّي اللّوم عاذل والعتابَنْ ❖❖ وقولي –إن أصبتُ– لقد أصابَنْ .

و الأصل والعتابا ولقد أصابا. والتنوين الغالي وهو اللاحق لآخر القافية المقيدة كقول رؤبة:

وقائم الأعماق خاوي المخترقن .

وسمي غاليا لتجاوزه حد النون .

وتنوين الضرورة وهو اللاحق لما لا ينصرف كقول امرئ القيس

ويوم دخلت الخدرَ خدرَ عنيزةٍ ❖❖ فقالت: لك الويلاتُ إنّك مرجِّلي .

وللمنادى المبني على الضم كقول الأحوص:

سلامُ اللهِ يا مطرٌ عليها ❖❖ وليس عليك يا مطرُ السلام.

والتنوين الشّاذ وهو اللاحق لبعض الأسماء المبنية كقولهم: هؤلاء قومك. و تنوين الحكاية وهو اللاحق للأعلام المنقولة عن أسماء أو صفات منونة كأن تسمى رجلا بكلمة عاقلة فتحكيها كما كانت قبل العلمية.

و نون النّسوة و هي ضمير الإناث في مثل: النساء يذهبن ونون علامة النّسوة وهذه حرف لا محل له من الإعراب عند اجتماعها مع الفاعل في لغة أكلوني البراغيث يذهبن النّسوة. وهي كذلك علامة جمع النّسوة أيضا في مثل

كتابكنّ وكتابهنّ على مذهب من يرى أنّ الضمير في الكلمتين هو الكاف فقط أو الهاء فقط والنون علامة جمع فقط.

ونون الوقاية وتسمى نون العماد كذلك مثل أكرمني، يكرمونني. والنون عوضا عن التنوين وهي الموجودة في المثنى وفي جمع المذكر السالم مثل : الرجلان والمعلمون وهذه تسقط في الإضافة كما يسقط التنوين في الاسم المفرد مثل: جاء معلما المدرسة وموظفوها. كما نقول جاء الرجل أو جاء رجل الدار أو جاء رجلٌ.

ومن النون تتركب الضمائر المنفصلة مثل: أنا، نحن، أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتم و أنتنّ، والضمير المتصل مثل كتبنا و ذهبنا و الضمير المستتر مثل نكتب ونذهب. ويتألف منها بعض الأسماء التي لا نستغني عنها في اللغة مثل: من كاسم استفهام أو اسم شرط جازم أو اسم موصول أو نكرة موصوفة و منذا اسم استفهام وهنا اسم إشارة للمكانو كأيّن اسم مبهم يكنى به عن العدد الكثير أو لدن اسم لابتداء الغاية أو منذ كظرف زمان، أو عند كاسم للمكان أو الزمان.

والنون للفعل توكيد له وهي نوعان: خفيفة وثقيلة، و قد اجتمعتا في قوله تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢ ﴾ يوسف: ٣٢ 41.

والنون علامة الرفع وهي نون الأفعال الخمسة نحو : يكتبان و يكتبون والنون فعل أمر وهي نون مكسورة تكون فعل أمر من ‹‹ونى ينِي نِ ››بمعنى فتر وتعب.

والنون في الحرف هي المكونة له في أغلب الحروف ، وأول حرف تألّف منها إذن حرف جواب ينصب المضارع مثل سأزورك فيكون الجواب : إذن أكرمَك، والحرف إلَّا المركب من إن الشرطية ولا الناصبة.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ٤٠ ﴾ التوبة: ٤٠ 42.

و يتركب منها كذلك الحرف المصدري أن و يأتي منها أن المخففة من أنّ تكون عاملة عمل أنّ أو مهلة، ومنها أن التفسيرية وأن الزائدة. ويتألف منها الحرف المشبه بالفعل إنّ و أنّ وحرف الشرط الجازم إن وحرف النفي إن والمخففة من إنّ تكون عاملة ومهملة وتكون زائدة وتكون إنّ حرف جواب ، وتأتي منها إنمّا و كأنّما الكافة والمكفوفة وعن حرف جرّ أصلي أو حرف جرّ زائد للتعويض ومن حرف جرّ أصلي أو زائد أو مرادف لعن ،ويأتي منها كأن ولكن و لكنّ ولن .

سورة القلم آخر سورة في القرآن الكريم بدأت بصوت مقطّع وهو النون، و قد جاءت بعد سورة ق التي تبدأ بـ:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ ﴾ ق: ١ 43.

فالجمع بين صوتي القاف و النون في سورتين تتابعان في الورود في المصحف الشريف ليس مصادفة، بل الجمع بينهما فيه مغزى عظيم ، فالقاف صوت مجهور وشديد ومرقق وهو ينتمي إلى عائلة تجمع القاف والجيم والدال

والباء وهي من أقوى الأصوات اللغوية، والنون تنتمي إلى العائلة المتوسطة و هي من أخفّ وأسهل الأصوات وهي أكثر الأصوات دورانا في ائتلاف الجذور اللغوية.

والسبق في الورود للأمجد و الأشرف أحق من الأسهل والأخفّ و هذا ما جاء موافقا لترتيب السورتين في المصحف الشريف.

والمجيد هو الأشرف والأفضل ، والقاف هو كذلك أفضل وأقوى الأصوات، وتأخرت سورة القلم عن كل السور المبدوءة بالأحرف المقطعة ، لتأخر صوت النون عن الشدّة والقوّة عن باقي الأصوات . و هذا التقدم للقاف، ومعاقبة النون له يعيدنا إلى ترتيبهما في كلمة«قرآن»؛ فالقاف جاءت في أول الكلمة و النون في آخرها، و هذه الالتفاتة فنية سواء قُصِد إليها أم لم يُقْصد، فهي تستحق الذكر و التنويه، لأنها ترقى إلى أعلى مراتب المنطق السليم.

قَالَ تَعَالَى:﴿ نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ ﴾ القلم: ١ [44].

في هذه الآية قسم جمع بين صوت النون والقلم والكتابة

والجمع بين القلم والكتابة لا يحتاج إلى بيان، والذي يحتاجه هو الجمع بين النون وبين القلم، أو بين النون و الكتابة فما السرّ في هذا الجمع ؟! فلندع السورة وحدها – على ضوء ما قدمنا من أهمية صوت النون في اللغة العربية – تكشف هذا السرّ بإذنه تعالى.

السورة اثنتان وخمسون آية، كلّها لا تخلو من صوت النون إلا آية واحدة خرجت عن هذا الأمر، وهي الآية العشرون :

قَالَ تَعَالَى:﴿ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ٢٠ ﴾ القلم: ٢٠ [45].

الكلام أو الكتابة مرتبطتان بالإعراب والإعراب معتمده الحركات و أهم الحركات التنوين؛ و التنوين يكون بالنصب أو الرفع أو الجرّ، فاشتماله الكامل على كل الحركات تكمن أهميته . و من يستغني عن هذه الحركات؟ فلا يستغني عنها إلآ من كان يجهل حق الحركات على اللغة و أهمية هذه في الإبانة عن المعاني. يقول ابن جنيّ في كتابه الخصائص:" الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ " [46] و هل تحمل الحركات إلآ على حروف الألفاظ ؟ و التنوين هو نون ساكنة. يقول ابن جنيّ في هذا:"و اعلم أن النون قد زيدت علامة للصرف، و هي المسماة تنويناً .[47]

فالخطيب أو الكاتب لا يمكنه أن يستغني عن التنوين في خطابه أو في كتابته ، فالنون هو أخف وأسهل الأصوات اللغوية على الإطلاق ، ويتعامل بسهولة مع جلّ الأصوات الأخرى ، فهو زينة الجذر والاسم والفعل والحرف نجده في هذه السورة الكريمة يمثّل أحسن تمثيل أهمية النون في اللغة العربية كما ذكرنا فيما سلف من هذا البحث .

و السؤال الذي يحتاج إلى عَوج لطيف هو لماذا ارتبط النون بالكتابة –و ما يسطرون– و لم يتعلق بالكلام ؟

فالحكمة من هذا التعلق بالكتابة هو تسجيلٌ للحضور الظاهر و الأثر الملموس عند الكتابة و انسحابه و اختفاءه عند الكلام، لأنّ اللغة لا تنتهي إلآ بساكن و لا تبدأ إلآ بمتحرك .فالكلام ستر للتنوين، و الكتابة إظهار له .

أول ظهور للنون في السورة ظهوره في صورة صوت لغوي مقطّع ، ثم يرد علامة رفع للفعل المضارع من الأفعال الخمسة ‹‹يسطرون›› ثم يأتي كجزء أساسي في الضمير المنفصل‹‹أنت›› و كصوت في جذر ‹‹جنن›› و ‹‹نعم›› وفي إنّ كحرف توكيد ونصب وإنّك ، وفي تنوين التمكين ‹‹غير ممنون ›› وفي اسم الموصول من ‹‹بمن ضلّ›› وجاء علامة لجمع المذكر السالم مع الياء و النون في حالتي النصب و الجرّ في ‹‹المكذبين›› و ‹‹بالمهتدين ›› و و مع الواو و النون في حالة الرفع في ‹‹ محرومون ›› و في ما يشبه هذا في الصيغة و ليس منه ك ‹‹ بمجنون ›› و ‹‹ غير ممنون ››و‹‹بنين›› و ‹‹مسكين ››وقد جاء كذلك مع أن وكان ومع الضمير المتصل ‹‹ءايَتنا›› و ‹‹وإنّا بلوناهم››، وجاء نون التوكيد ثقيلة في لتصرمنّها ومع من حرف جر، وأن حرف مصدري ونصب وإن حرف شرط جازم ونحن ضميرا منفصلا ، ونونا زائدة في سبحان ربنا، وضميرا مستترا في ‹‹فنجعل››، وعن حرف جر أصلي ونون وقاية في ‹‹فذرني ›› وعند ظرف مكان في ‹‹أم عندهم الغيب››.

لقد مثلت لكل نوع من أنواع النون التي تدخل في بناء اللغة، والملاحظ في هذه السورة أن النّوع الواحد قد يتكرّر مرتين أو ثلاثة أو أقل أو أكثر من ذلك.

فتنوّع صوت النون في صوره المختلفة في دخوله في الجذر أو في وروده في الأسماء والأفعال والحروف يحاصر الخطيب أو الكاتب، فيتفوّه به في أيةِ عبارة يلقيها إذا خطب أو يكتبه في أي سطر يسطره بالقلم.هذا ما كان من سرِّ الآية الأولى:"يَسۡطُرُونَوَمَاوَٱلۡقَلَمِۦ "

فما سرّ ورودالميم كرويّ لبعض الفواصل القرآنية في السورة ك: " عظيمٍ " و " بِنميمٍ " و " أثيمٍ" و " زنيمٍ" و "الخرطوم" و " كالصَّريمِ " و " النَّعيمِ" و " زَعيمٌ " و " مكظومٌ " و " مذمومٌ ".

الميم الساكنة هي أقرب الأصوات،من حيث الخصائص الصوتية، من صوت النون الساكنة. فهي تلتقي معها في كلِّ الصفات، و في جزء صغير في المخرج عندما تخرج جزءً يسيراً من هوائها من الأنف، و السرّ كلّ السِّرّ يكمن هنا في جَرِّ الهواء الخارج من الرئتين إلى مجرى الأنف لغلق الطريق على الهواء الداخل أثناء التلاوة حتى يمنع دخول هواء نقي جديد أثناء تلك التِّلاوة، لكيّ يتوقَّف عند نهاية الآية توقفاً طبيعياً لازماً ليستريح، و يتنفَّس من جديد و يبدأ التِّلاوة مرة أخرى، في قوة و راحة و طمأنينة. و كذلك حتّى لا يَعْجَلَ في قراءته.

قال تعالى:" لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19) كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ(20)". هذا من جهة التوقف الإجباري عند كل فاصلة تنتهي بالنون و الميم . و يتبع هذه الظاهرة – ظاهرة الاستراحة والمكث في القراءة مع كل آية – ظاهرة الترنّم و التطريب وعذوبة

الصوت بالغنّة مع النون و الميم، و المبالغة في ذلك بتنوين الميم بالكسر في أربع فواصل و هو أقوى الحركات لأن الكسرة أقوى من الفتحة و الضمّةِ.

و يأتي بعد ذلك الكسر من غير تنوين في ثلاث فواصل، و يأتي بعدهما على التوالي الضَّم بالتنوين في ثلاث فواصل ، و لا نجد الفتحةَ.

و تنوين الميم بالكسر و الضَّمِّ زيادة في التطريب في تَشَابكِ الغنَّتين؛ غنَّة الميم و غنَّة التنوين و في قوة.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٦

و لفهم أسرار النون و الإحاطة بما يمكن الإحاطة به منها، لا بد من رؤية الموضوع من خلال القرآن الكريم بأكمله.

و لهذا الغرض العظيم، نورد إحصاء لفواصل القرآن الكريم لأنها محط الفصل و مكان الراحة و موضع الفرقان و المكث.

يقول محمد الحسناوي:" تظل العمليات الحسابية و الجداول- على صعوبتها- أسهل بكثير من تحليلها و الاستنتاج منها و غرضنا من هذا الفصل:

أ/ دعم الأحكام النقدية التي قررناها في الفصول السابقة.

ب/ استكمال ما لم نستنبطه من دلالات الفواصل.

ج/ إتاحة المجال للدارسين للإسهام معنا في تحليل هذا الإحصاء". [48]

لقد رجعت إلى القرآن الكريم و سجلت كلّ أنواع الرويّ في الفواصل القرآنية و لم أتجرأ على إحصائها خوفا من عملية العدّ و الحساب و عذابها و الخطأ فيها.

و لَقراءة الإحصاء عندي و تحليله أهون من الإحصاء نفسه. و ما نقدمه من تحليل لهذا الإحصاء، فهو مماّ توصلنا إليه من خلال بحثنا الذي أنجزناه في أطروحة الدكتوراه الموسوم ب:" أهمة مخارج الحروف و صفاتها في إعجاز القرآن.

رابعا : عرض الإحصاء العام للفواصل القرآنية:

هذا الإحصاء العام مؤخوذ من كتاب الفاصلة في القرآن كما أسلفت و قد تصرفت فيه بكل حرية و وجّهته الوجهة السليمة لكي يكون في خدمة البحث.

الرويّ: ترتيب شيوع الرويّ في الفواصل بحسب التسلسل العددي:

ن: 3152. م: 742. ر: 710. د: 308. ى: 245. ب: 221. ل: 211. هـ : 129. ي: 92. ق: 65. ت: 45. ع: 33. ف:21. ج: 20. ط: 19. ز: 17. ظ: 17. س: 14. ص: 10. ك: 9. ث: 6. ح: 5. ض: 4. ش: 3. و: 3. ذ: 2. غ: 1. خ:0.

الوقف:

عدد فواصل الوقف على الرويّ الساكن: 5197.

عدد فواصل الوقف على الرويّ المتحرك بالفتح: 916.

عدد فواصل الوقف على الرويّ المتحرك بالضمّ: 3.

عدد فواصل الوقف على ضمائر الإعراب: 113.

عدد فواصل الوقف على هاء السكت: 7.

الرّدف:

عدد الفواصل المردوفة، ما عدا فواصل الضمائر: 5165.

عدد الفواصل المردوفة منها بياء: 2672+ من الضمائر: 5.

عدد الفواصل المردوفة منها بواو : 2048 + من الضمائر 3.

عدد الفواصل المردوفة منها بألف : 445 + من الضمائر: 29.

الفاصلة الأثيرة:

النون الساكنة المردوفة بواو أو ياء: 3050.

المردوف منها بواو: 1758. و المردوف منها بياء: 1292.

ضمائر الإعراب:

ضمائر جمع هم: 30. كم: 13، تم: 1.

ضمائر مفرد هـ : 36. ها : 33.

أنواع السوّر من حيث الرويّ :

السور ذوات الفواصل المتماثلة إحدى عشرة سورة هي:

القمر ، المنافقون، الأعلى، الشمس، الليل، القدر، العصر، الفيل، الكوثر، الإخلاص، الناس.

السور ذوات الفواصل المتقاربة إحدى و أربعون سورة: ما اشتد فيها التقارب: الفاتحة التوبة، يونس، الحجر، النحل المؤمنون، الشعراء، النمل ، القصص ، العنكبوت، الروم ، السجدة، يس، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف الحجرات ، الممتحنة، الجمعة، التغابن ، الملك، القلم، المطففين، التين، الماعون. و ما ضعف فيها التقارب: الأنعام لقمان، سبأ ، فصلت، محمد، الفتح، ق، المجادلة، الصف ، الطلاق، الجن، الإنسان، البروج، الهمزة، قريش.

سور ذوات فواصل منفردة إحدى و عشرون هي: الأعراف، الرّعد، ص، المزمل ،النصر. وقع الانفراد في فواتحها، أما التي وقع الانفراد في صلبها:

النساء ، طه، الأنبياء، الحج، الزّمر، الرحمن، التحريم، القيامة، النازعات، عبس الانشقاق الكافرون. و التي وقع الانفراد في خواتمها هي: النجم، الانفطار الضحى المسد.

السور ذوات الفواصل المتنوعة إحدى و أربعون سورة، و هي بقية السور. و قد غفل صاحبنا عن إحصاء صوت الهمزة كرويّ.

خامسا:تحليل الإحصاء :

قبل الخوض في تحليل الإحصاء، لابد من التذكير ببعض الحقائق الصوتية المتعلقة بالأصوات العربية و حركاتها التي تعيننا على فهم معطيات الإحصاء فهما مرضيّا. [49]

– هناك أصوات مهموسة و أصوات مجهورة، و المجهور أوضح في السمع من المهموس. و هو أقوى منه كذلك.

– الأصوات المتوسطة؛ النون و اللام و الراء و الميم، هي الأكثر تعاملا في الائتلاف من كل الأصوات الأخرى.

– و يأتي بعد ذلك عائلة الأصوات الشديدة، و بعدها تأتي الأصوات اللّينة، ثم عائلة الأصوات الرخوة.

– الحركات القصيرة تترتب من حيث الخفة و السهولة على هذا النحو: السكون و الفتحة و الضمة و الكسرة، و عند إشباع هذه الحركات تخرج منها الألف و الواو و الياء. و السكون لا إشباع له.

– النون الساكنة هي أخفّ الأصوات على الإطلاق. و هي خيشومية يخرج جزء من هوائها من الأنف. و هي أغنّ الأصوات و خاصة بعد مدّ الصوت. "و إنّما ألحقوا هذه المدّة في حرف الرّويّ لأن الشّعر وضع للغناء و الترنُّم، فألحقوا كل حرف الذي حركته منه و يتركون ذلك إذا لم يترنموا و جاء في القرآن على أسهل موقف و أعذب مقطع". [50]

– الميم الساكنة هي أقوى الأصوات المتوسطة، و هي كذلك خيشومية يخرج جزء من هوائها من الأنف و هي أقلّ غنّة من النون.

– و أقوى الأصوات هو صوت القاف.

– و أخف المدود، هو مدّ الألف.

– أغلب الرويّ الأصوات المجهورة، و أقلها الأصوات المهموسة.

– أغلب فواصل الوقف على الرويّ الساكن، ثم يلي ذلك فواصل الوقف على الرويّ المتحرك بالفتح.

– أقلّ الفواصل هي فواصل الوقف على الرويّ المتحرك بالضمّ، و فواصل الوقف على الرويّ المتحرك بالكسر معدومة. و فواصل الوقف على هاء السكت أكثر منهما و هي كذلك قليلة.

– الصوت الرّدف يظهر حسنه مع رويّ الألف المقصورة، و مدّ الألف بعده يزيده حسنا. و مع هاء السكت يبرز الصوت السابق عليها و هو بمثابة ردفها.

– الفواصل في نهايات التنفس و نهاية التنفس منتهى ضعفه، و الضعيف يخفف عنه حملُه و لذلك تنتهي الفواصل بالمدود لأنها خفيفة، و مخرجة لكامل الهواء بشكل مريح، و نراها تنتهي بأخف و أغنّ الأصوات النون و الميم الساكنتين.

– مهما كان الصوت ثقيلا، فإذا سبق بمدّ فهو آيل إلى نهاية و تخلص منه، و هو كذلك يناسب عِظم المعاني.

– أغلب الخطاب في القرآن الكريم خطاب الجمع و أقلّه خطاب المثنى و المفرد. و لهذا جاء عدد الفواصل المردوفة بالألف أقلّ من المردوفة بالواو و الياء.

– عدد الفواصل المردوفة بالياء أكبر من عدد الفواصل المردوفة بالواو بشكل عام لأنّ الخطاب القرآني أغلبه موجه من الله إلى خلقه، فهم مفعول بهم أو بمثابة المفعول بهم كالمجرور بالحرف، و أقلّه على لسان الرسل، أو لسان الكفار أو لسان المنافقين أو لسان المؤمنين، و هو كلّه كلام الله. فالله يخاطب عباده أو كلَّ خلقه بصيغة المفرد، أو بصيغة المفرد المعظِّم لذاته جلَّ جلاله أو بصيغة الجمع و التعظيم معاً.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الحجر: ٢٩

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ الحجر: ٢٥

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الحجر: ٢٣

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ الحجر: ٤٩ - ٥٠

و المخاطب أغلبه جمع، إمَّا منصوب أو مجرور أو مرفوع، أي مردوف بالياء أو الواو و الغالب أن يردف بالياء. زد على ذلك، ما كان مردوفا بالياء و هو خارج عن صيغة الجمع مثل: عنيد، صديد، غليظ، بعيد، جديد، كظيم، قديم، سبيل رحيم مريب، مبين، محيص، و هو كثير في القرآن على عكس المردوف بالواو في غير صيغة الجمع فهو قليل مثل: الزيتون ممنون، مجنون، الماعون، يكون، موزون. لهذا غلبت الياء على الواو بشكل عام كما جاء في الإحصاء.

– أمَّا مع صوت النون، تنقلب الأمور و يصبح الرِّدف بالواو غالباً على الرِّدف بالياء. مع نوعية الخطاب القرآني نفسه و مع قلَّة الكلمات المردوفة بالواو في غير صيغة الجمع، و مع كثرتها مع المردوفة بالياء في غير صيغة الجمع كما تقدم. فلماذا مع كلِّ العوارض هذه، يغلب الواو على الياء مع النون؟

هنا تعمل سنة التوجّه إلى الخفّة عملها، و يكثر الخفيف و يتراجع الثقيل، لأن النون من أخفّ الأصوات و يلائمه الواو لخفته و الواو دليل جمع فاعلية، و إنْ تعلق بالعباد أي بالمخاطَب. أمثلة من سورة النحل.

قَالَ تَعَالَى:﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ النحل: ٢

قَالَ تَعَالَى:﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ النحل: ٣

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ ﴾ النحل: ٦

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ النحل: ٨

و هنا تكثر الواو على الياء، لأنّ النون أخفّ الأصواتِ، و الواو أخفّ من الياء ، و سنة العربية هو البحث عن الخفَّة.

هذا و غيره من الأشياء اللاحقة على ما بيَّنَا في ترتيب الحركات.[51]

– الفاصلة الأثيرة هي النون الساكنة المردوفة بواو أو ياء. فالمردوفة منها بواو أكثر من المردوف بياء، لأن الواو مدّ أخفّ من مدّ الياء، و النون أخفّ الأصوات و لا يجوز العدول عن نهج التوجه نحو الخفّة.

– عدد السور المختومة برويّ مهموس في كل فواصلها محدود جداً، لا يزيد عمّا في هذه السور: الناس، قريش، الهمزة القارعة ، البيّنة، الشّمس.

وجلّ السور تنتهي برويّ مجهور. لقوة الصوت المجهور و وضوحه في السمع .

الوقوف ميدانيا على ما جاء في القرآن:

النّون هو الصوت المسيطر على رويّ الفواصل في القرآن الكريم، من سورة " الفاتحة " إلى سورة " الكافرون". لأنّ النون صوت من أخَفِّ الأصوات على الإطلاق، و من أغنِّها، و هذه سنة في اللغة العربية، تميل دائماً للخفّة و الترنّم في نهاية الكلام. و الوقف على الرويّ الساكن هو المسيطر على كلِّ أنواع الرويّ بسبب الميل إلى الخفّة، و السّكون أخفّ الحركات كما رأينا. يقول صاحب القول السَّديد: فإن قلت: الأصل هو الحركة لا السكون، فبأي علّة يصير السكون أصلا في الوقف؟ الجواب: لما كان الغرض من الوقف الاستراحة، و السكون أخفّ من الحركات كلِّها و أبلغ في تحصيل الاستراحة صار أصلاً بهذا الاعتبار".[52]

صوت النون الساكن يزجي الهواء إلى مجرى الأنف، للتحكم في زمن إخراج الهواء و يمنع دخول الهواء الجديد إلى الرئتين حتّى يتوقف القارئ عند نهاية الآية المنتهية بصوت النون مضطرّا بسبب نقص الهواء النقي الصالح للتنفس نتيجة غلق مجرى الفم بالمدّ و مجرى الأنف بالنون .إذن مجموع هذه الميزات التي يتحلى بها صوت النون هي التي جعلته يفوق في عدد رويِّه أعداد رويِّ الأصوات الأخرى مجتمعة لأنّ عدد الآيات 6236 و عدد رويِّ النون 3152.

و يأتي بعد النون، رويّ الميم. و صوت الميم أقوى من الواو و الياء و اللام و الراء. و قد تقدم عليها جميعها، على الرغم من قوته. إذن ما المسوغ لهذا التفوق على أخفِّ الأصوات؟! تختلط عناصر صوتية كثيرة لصنع الفاصلة

القرآنية و هي الخفّة و الترنّم، و توجيه الهواء إلى مجرى الأنف لإخراج كامل الهواء و التحكم في زمن إخراجه و منع الجديد منه للدخول لاستمرار الكلام و الاستراحة بعد ذلك، وملء الهواء من جديد، و استئناف عملية الكلام.

النون يمتلك من الخصائص الصوتية ما يمتلك الميم، إلاّ أنّه أحسن منه في كلّها لهذا كان الفرق في العدد بينهما كبيراً و هذا واضح للمنتبه.

و تختلف النون و الميم عن الأصوات الأخرى في الترنم، و جرّ الهواء إلى الأنف و النون أخفّ منها و الميم أقوى. إذن تقدم الميم عن هذه الأصوات بسبب هاتين الميزتين لا غير.ولا يكون التّرنّم إلاّ بجرّ الهواء إلى الأنف، فتختفي ميزة الترنم لأنّها ناتجة عن الأولى. و يبقى توجيه الهواء إلى الأنف و التحكم في زمن خروجه و منع دخوله لأنّ الهواء أثناء الكلام لا يدخل إلاّ من الأنف، و الأنف مشغول بإخراج الهواء الفاسد ، فلا بد من الوصول إلى النهاية إلى نهاية الآية حيث الاستراحة و المكث و التوقّف و ملء الهواء و العود بقوة مع صوت متحرك. يقول صاحب الفاصلة في القرآن:" و قريب من هذا الوقف، الوقف على الميم الساكنة مردوفة بياء أو واو. و يغلب على هذا الوقف اقترانه بالنون المردوفة مثله حتّى أنَّهما استقلا معاً بِست سور كلّها مكية هي: المؤمنون و الروم و القلم و المطفّفين و التّين و الماعون".[53] مع الراء كَرَويٍّ لفاصلة واحدة في سورة الرّوم. و للأسف لم يبيّن لنا صاحب الإحصاء بأي صوت هي مردوفة الميم بالواو أكثر أم بالياء ؟

إذن لابد من الفصل بين الخفَّة و جرّ الهواء إلى الأنف و الغنّة في الفضل و الأولوية و السبق. لو كانت الخفَّة تفضل جرَّ الهواء إلى الأنف، لتقدمت هذه الأصوات كلّها عن الميم أو على الأقلّ، تقدم أخَفّها على الميم في عدد الرّويٍّ، و لكن هذا لم يحدث و تغلبت الميم بقوتها و توجيهها للهواء إلى مجرى الأنف . فالفضل ليس للخفّة وحدها، فلو كانت الخفّة و حدها لكثرت الفواصل بالام أو الراء أو الواو أو الياء ، لأنها أخف من الميم . و إنّما الفَّضل الأهم لتوجيه الهواء إلى مجرى الأنف ، فيحدث الترنّم و تطرب الغنّة و بعدها الاستراحة و الراحة. فالفضل الأوّل و الأسبقية لدفع الهواء إلى الأنف بحضور الخفّة لتظهر الغنّة بالنون أو الميم. و نظرا للفرق بين قوة الصوت المجهور و وضوحه في السمع و أهميته في بناء الجذر و خاصة عندما يكون في نهاية الجذر، كما مرّ معنا في فصل أحسن الجذور و ضعف الصوت المهموس و انخفاض درجة وضوحه في السمع[54]، نجد أغلب السور في القرآن تنتهي بصوت مجهور مردوف بصوت مجهور كذلك إلاّ سِتَ سور تنتهي بصوت مهموس و هي: الشَّمس و البيِّنة و القارعة و الهمزة و قريش و الناس. كلّها سور مكيّة إلاَّ سورة البيِّنة مدنية. و هي كلّها سور قصيرة، لا تزيد في مجموعها عن 73 فاصلة.

سور القرآن طويلة و متوسطة و قصيرة، و آياتها كذلك طويلة و متوسطة و قصيرة، تكون إمَّا مكية أو مدنية. لكلّ سورة فواصل تناسبها، و الفواصل تكون إمّا متماثلة أو متنوّعة.

1/ السور المتماثلة: و هي السور التي تكون على رويٍّ واحد فقط، لا يعكر تماثلها رويّ واحد مهما كانت درجة تقاربه.

السور المتماثلة إحدى عشرة سورة هي:

القمر: مكية . 55 آية. أياتها قصيرة. رويّها صوت الراء. الوقوف عليه بالسكون. فواصلها غير مردوفة بالألف أو الواو أو الياء. فهي تمتاز بالحركات المتتالية و أكثرها حركات متشابهة، إمّا فتحات أو ضمّات، و لا نجد توالي الكسرات. و كلّ آية يكفيها تنفس واحد لقراءتها. فهي ليست بحاجة إلى الترنّم و افراغ كلّ الهواء و الاستراحة الحقيقية. كاستراحة النون المردوفة بالألف أو الواو أو الياء. و هي أكبر سورة في السور المتماثلة.

المنافقون: مدنية. 11 آية. أياتها طويلة و متوسطة. رَويَّها صوت النون مردوفة في أغلبها بالواو، و في الباقي بالياء. الوقوف عليها بالسكون. الآية لا يكفيها تنفس واحد لقراءاتها. فيها الترنّم بالنون الساكنة و هي بحاجة إلى استراحة كاملة لافراغ كل الهواء، و ملء الهواء النَّقيِّ من جديد، و معاودة القراءة. و هي سورة قصيرة في السور المتماثلة.

الأعلى: مكية. 19 آية. آياتها قصيرة. رَويّها الألف المقصورة. الوقوف عليها بالمدِّ الساكن. فهي و سورة الليل مثال لتنوّع الفاصلة، لأنَّ الألف المقصورة امتداد هادئ للصوت الذي يسبقها مثل اللام و الواو و الفاء و الشين و القاف و الكاف و السين و الياء و العين و الراء و الدال. فإنَّنا في حقيقة الأمر نسمع تنوّعا صوتياً ممتدًّا في هدوء بهذه الألف المقصورة. و لا نسمع لها تماثلا و لا رتابة لأنها حاضرة رؤيةً، غائبة سمعاً.

الشَّمس :مكية. 15 آية. آياتها قصيرة. رَويّها صوت الهاء الممدود بألف المدِّ المسبوق بالمدِّ المسبوق بأصواتٍ متنوِّعةٍ. فيختلط في نهاية القراءة الأصوات المتنوِّعة المنتهية بالمدِّ بالهاء المفتوحة الممدودة بالألف الهادئة، فيمتزج التنوّع السابق بالتماثل اللاّحق عليه مثل: " وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا " " قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا " " وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا ". فهي متماثلة رؤيةً و صوتاً و متنوِّعة سمعاً.

الليل: مكية. 21 آية. آياتها قصار. رَويّها الألف المقصورة. الوقوف عليها بالمدّ الساكن. و يقال عليها ما قبل في سورة الأعلى. أمَّا باقي السور؛ القدر، و العصر، و الفيل، و الكوثر و الإخلاص، و النّاس، فهي سور مكية، و قصار و آياتها قصيرة، و رويّها الغالب فيها الراء و تأتي اللام و الدال و السين مع سور الفيل و الإخلاص و النَّاس على التَّوالي.

فهذه السور تقرأ بنفسٍ واحدٍ و ليست بحاجة إلى استراحة، إلاّ سورة الفيل إنَّ رَوِّيَها اللام مردوفة بالياء و الواو و هي بحاجة إلى الاستراحة نظراً لقوة أصواتها الّتي تتألف منها كالتاء و الكاف و الصاد و الجيم و الدال و الضاد و الطاء و الباء و الحاء و الهمزة على الرغم من قصر آياتها. فتماثل رَوِيِّها يخدمها أكثر من تنوّعه، لأنّها قصيرة تنتهي في نفس واحد، و تغيّر الرَّويِّ يغيِّر من وتيرةِ الصوتِ، فيحدث تصدعاً في التَّنَفّس. فسورة الإخلاص مثلا

لا تحتاج إلى النَّفسِ كما تحتاجه سورة الفلق لتنوّع رويّها. كما لا تحتاجه سورة النَّاس بالمقارنة مع سورة الفلق. فسبحان الذي دقَّتْ في كلِّ شيءٍ حكمته.

2/ السور المتنوّعة: و هي القرآن كلّه ماعدا بعض السور التي ذكرناها في الفقرة السابقة على هذه. التّنوّع سنة الله في كلِّ خلقه. و كلام الله لا يخرج عن سنته. و كلّ ما يصطلحون عليه بالاختلاف في كلِّ صغيرة أو كبيرة في كلِّ فروع العلم أو النحو أو الفقه أو القراءات أو البلاغة أو علوم الأحياء أو الفلك أو ما يخطر في بال أيِّ عاقل، فهو ليس باختلافٍ، و إنّما هو تنوّع و تميّز، و كلّ تنوع له مستويات و درجات وأحسن شيء في كلّ تنوّعٍ هو ما تربّع على آخر درجة في أعلى المستوى.

ليت أهل هذا القرآن يضعون كلمة اختلافٍ جانباً، و يستبدلونها بالذي هو خير منها و هو لفظ التّنوّع، حتّى نرتقي و نلتقي في أعلى المستويات.

ضرب الأمثلة على التنوّع في فواصل القرآن، هو نقل المصحف الشريف إلى أوراق البحث و هذا سير في مواجهة التيار و هذا أمر لا ينمّ عن كثير ذكاء، و لا يرفع من قيمة البحث. و الذي نراه الأحسن، هو حمل المتتبع للبحث بلطف و رفق إلى المصحف، و إرشاده إلى مواطن التنوّع ليقرأها بأمِّ عينيه أو يسمعها بأمِّ أذنيه و الأذن في هذا الباب أحسن و أفضل من العين، و أوَّل من جلب المودةَ بيني و بين القرآن في هذا البحث الأذن، أطال الله سمعها.

أول سورة تمثّل تنوّع الفواصل في القرآن أحسن تمثيل، سورة ق.

و هذا التنوّع يخضع بدوره إلى النظام، و لا يأتي من دون إحكام، بل جاء في أحسن و أفضل انسجام، لا يندّ عن أصوات العائلات المحددة التي ذكرناها في باب العائلات الصوتية[55]. في هذه السورة نجد القاف و الدال والباء و الجيم. و نجد كذلك الأصوات المطبقة و هي الصاد و الطاء و الظاء و لا نجد الضاد.

في سورة التوبة نجد الأصوات المتوسطة و هي النون و اللام و الراء و الميم و هي من عائلة واحدة. و سيطرة النون ظاهرة و تأتي بعدها الميم ثمّ الراء ثمّ اللام كما جاء في الإحصاء. و يأتي مع هذه الأصوات صوت الباء لارتباط النون بالميم و ارتباط الميم بالباء و الباء أخفّ أصوات عائلته.

و كذلك ما جاء في سورة ص، نجد عائلتين، عائلة الأصوات المتوسطة و عائلة الأصوات المجهورة الشديدة. و عائلة الأصوات المطبقة التي نجد من أصواتها الصاد و الطاء و هي مهموسة، و لا نجد معهما أخويْهما المجهورين. و هذا دليل آخر على أهمية الجهر و الهمس في الصوت اللغويّ، و دليل آخر على همس الطاء. فالسورة سورة ص، و الصاد مهموس بالإجماع و ذكر معه الطاء، و لم يذكر الظاء و لا الضاد، و قد ذكرت هذه الأصوات الأربعة في تناظر عجيب في سورة فصلت كما فصلنا ذلك[56].

و كذلك سورة غافر فيها العائلتان، عائلة الباء و النون. و فيها كذلك تنوّع في المدود، فهناك المدّ بالألف و الواو و الياء، و مع كل مدّ تنوّع في الأصوات المذكورة. و سورة القارعة فيها الأصوات المهموسة بكل أنواعها الشديدة و تتمثّل في التاء و الرخوة الحلقية و تتمثّل في الهاء و الرخوة اللسانية و تتمثّل في الثاء و الشين. و سورة التكاثر فيها الأصوات المجهورة و هي من عائلة واحدة، و تغيب في هذه المرّة اللام. و كذلك سورة قريش، لا نجد فيها إلاّ الأصوات المهموسة؛ الشين و الفاء و التاء. و سورة الفلق فيها الأصوات المجهورة و من عائلة واحدة.

و نعود إلى قضية تستحق تعليلا لطيفا و هي قلّة المدّ بالألف ، على الرغم من خفّته عن الواو والياء. في قلّته عن صاحبيه نقول بأنّ الخطاب القرآني يتوجه به جلّ و علا و سبحانه و تعالى علوّا كبيرا إلى جميع خلقه ، فهو في مجمله بصيغة الجمع ، و صيغة الجمع لا تكون إلآ بالواو و الياء ، و الألف جاءت في سورة الرحمان تدلّ على التثنية في صيغتها و تتحدث عن الإنس و الجنّ و هي في حقيقة الأمر خطاب للجمع ، و هي أحسن شاهد على التثنية الدالة على الجمع في القرآن و بالتالي في اللغة العربية .

و خلاصة الأمر ، و العجيب العجاب أن يجتمع كلّ ما يخدم القرآن في موضع واحد يرتبط أوّله بآخره ؛ فالخطاب للجمع– للناس كافة و الجنّ كافة — و الجمع يكون بالواو و النون أو بالياء و النون في جمع المذكر السالم ، و هو خطاب للذكر و الأنثى و لو كان بالجمع المؤنث السالم لأخرج الرّجل من القصد و انتهت الفواصل بالألف و التاء و إذا عدنا إلى الإحصاء لوجدنا التاء في ذيل الإحصاء. فجمع المذكر السالم و صيغة الأفعال الخمسة و ما يشبه جمع المذكّر السالم بالواو و الياء مثل مجنون و مبين و ما يشبهها بالواو و الميم و بالياء و الميم مثل السموم و الجحيم ،كلها تجتمع في نهاية الآية في موضع الفاصلة لتعرض على الفاصلة خدماتها كاملة غير منقوصة من وقف و استراحة و غلق لمجرى الهواء في الأنف لمنع الهواء من الدخول إلى الرئتين و الغنّة و الترنّم و التّطريب .فكأنّ صيغة الجمع ما وجدت إلآ لخدمة القرآن كلّ هذه الخدمة الجليلة قبل بعثة الرسول صلّى الله عليه و سلّم و نزول القرآن الكريم .

تنوّع الرّويّ في الفواصل القرآنية هي السنّة الغالبة في القرآن الكريم. كل صوت و كل حركة و كل سكنة و كل حرف مقطّع و كل رويّ و كل ردف و كل ترتيب و كل تماثل في الرويّ و كلّ تنوّع فيه، كلّ ذلك من صميم علم الأصوات ليت شعري متى تتجه البحوث إلى القرآن لاستخلاص علم الأصوات منه. و هذا لا يزيد عن تنبيه و نصيحة لطالب العلم.فلله في خلقه شؤون، ولله في أصوات ألسنة خلقه أسرار.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ القلم: ٥٢ [57].

سادسا: نظام التعامل الصوتي بين أصوات النون و الميم و الباء .

كلّ التعاملات الصوتية بين الأصوات على تباعد مخارجها أو تقاربها أوعلى المبالغة في القرب أو البعد، تخضع طائعة لقانون القوة و الضعف و لموقعها في كلمة واحدة أو في كلمتين في موقع النهاية و البداية ، إذا تقدم القوة عن الضّعف أو سبق الضعف القوة. و لا يخرج الصوت في تعاملاته عن مجال عائلته.

فالنون و الميم و الباء تلتقي في كلمة و في كلمتين. تلتقي النون مع الميم بالتقديم و التأخير.و تلتقي النون مع الباء بالتقديم و التأخير كذلك و تلتقي الميم مع الباء بالتقديم و التأخير. في كل لقاء بين هذه الأصوات يمكن أن نجد بعض التعاملات، و يمكن ألاّ نلاحظ ذلك.

نحاول توضيح ذلك من خلال الآيات القرآنية ، لأن القرآن هو فصل الخطاب.

و سنبدأ التّمثيل بالآيات التي تخلو من كلّ تعامل صوتي بين هذه الأصوات.

1- الميمقبل النون الآية :" قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (2)" من سورة نوح. الميم ساكنة و النون مفتوحة و لا يوجد أي تعامل بينهما.

2- النون قبل الباء الآية :" وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنْ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنْ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً (6) " من سورة الجنّ. النون مفتوحة و الباء مكسورة، و لا شيء بينهما.

3- النون قبل الميم الآية :" إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنْ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (20)". من سورة المزمّل. النون مضمومة و الميم مكسورة، و لا شيء بينهما.

4- الباء قبل النون الآية :" تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49) " من سورة هود. الباء مكسورة و النون مضمومة، و لا شيء بينهما.

5- الباء قبل النون الآية :" وَأَقِمْ الصَّلاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (114) " من سورة هود. الباء ساكنة و النون مفتوحة، و لا شيء بينهما .

6- الباء قبل الميم الآية :" فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (112)" من سورة هود. الباء مفتوحة و الميم مفتوحة، و لا شيء بينهما.

7- النون قبل الباء الآية :" ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (100) " من سورة هود. النون ساكنة و الباء مفتوحة، ولا شيء بينهما .

8- الباء قبل الميم الآية :" قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (91) " من سورة هود. الباء مضمومة و الميم مفتوحة، و لا شيء بينهما.

9- الميم قبل الباء الآية :" وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (19) " من سورة يوسف. الميم منونّة بالضّمّ و الباء مكسورة، و لا شيء بينهما.

10- النون قبل الميم الآية 24 :" ببَطن مَكَّة " من سورة الفتح. النون مكسورة و الميم مفتوحة، و لا شيء بينهما.

هذه لقاءات بين النون و الميم و الباء قد خلت من أيّ تعامل صوتيّ.

النون أخفّ من الميم، و الميم أخفّ من الباء، و النون و الميم من عائلة واحدة، و الباء من عائلة أخرى غير عائلة النون و الميم.

النون المتحركة تشبه الميم في كلّ الصفات و تختلف عنها في المخرج، و الميم المتحركة من مخرج الباء، و تختلف عنها في الصفات. و النون تختلف عن الباء سواء كانت متحركة أو ساكنة. و النون الساكنة تشترك مع الميم في المخرج و الصفات.

للنون مع الميم تعامل صوتي إذا كانت ساكنة، و كذلك لها تعامل مع الباء بالشرط نفسه.و ليس للميم تعامل مع النون أو الباء إذا تقدمت عنهما . و للباء تعامل مع الميم إذا تقدمت عن الميم. و ليس لها مع النون تعامل إذا تقدمت عنها. و نمثّل لكلّ هذه التعاملات الصوتية مع تعليل ذلك.

النون الساكنة قبل الميم الآية :" أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (37) ". من سورة القيامة. هنا النون الساكنة ترتفع إلى مستوى الميم حتّى تصبح في قوتها، و تماثلها تمام التماثل، و تدغم فيها، و يكون الإدغام من الضّعيف إلى القويّ.

النون الساكنة مع الباء الآية :" وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْساً وَلا رَهَقاً (13) ". من سورة الجنّ. النون من عائلة و الباء من عائلة أخرى، و لا علاقة بين الصوتين. فلا تعامل بينهما، و إنّما يكون التعامل بين النون و الميم المصاحبة للباء في المخرج. فالنون هنا تصل إلى الميم أعلى درجة في هذه العائلة، فتقترب من الباء و لا تدغم فيها على ضعفها، لأنها لا تشبهها في الصفات، و لا يدغم الصوت في غيره حتّى يماثل لاحقه و لم تماثل الميم الباء فبقيت ظاهرة و لم تدغم.

الباء الساكنة قبل الميم المتحركة الآية :" وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (42) ". من سورة هود.

هذه الآية تقرأ بالإدغام؛ إدغام الباء الساكنة في الميم. و قد قرأ بالإدغام أبو عمرو و حمزة و الكسائي، و يعقوب رضي الله عنهم، و قرأ الباقون بالإظهار، و الإظهار أجود من الإدغام.

الباء أقوى من الميم، و لا علاقة بين الباء والميم في كلّ الصفات، إلاّ في الجهر، و هذا غير كاف لإدغام الباء في الميم مع الاشتراك بينهما في المخرج. فإذا كانت الميم على ضعفها إذا سبقت الباء، و كانت ساكنة لا تدغم في

الباء و هذا عند مباشرة النون الساكنة الباء كما مرّ معنا في الآية :" وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْساً وَلا رَهَقاً (13) ". من سورة الجنّ.

فكيف تخالف الباء القوية قانون الإدغام ؛ الضّعيف يدغم في القويّ، و لا تذعن الميم الضّعيفة لهذا القانون، و هي أولى من الباء في ذلك ؟!

الباء المتحركة بالكسر قبل الميم المتحركة بالفتح الآية :" إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) ".من سورة آل عمران.

الباء المكسورة تكون في أقوى صورة لها، و تقدمت عن الميم " مكّة" فالباء صوت شديد و الكاف كذلك صوت شديد بعد الميم، فهنا جرّت الباء القويّة الميم الضعيفة، فأخرتها من مجالها و حوّلتها إلى باء و ساعدها على ذلك وجود الكاف الشديد بعد الميم.

و لولا قوة الباء المكسورة، و وجود الكاف المشدّدة، لما صعدت الميم إلى الباء، و بقيت كما هي في الآية :" وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً (24)". من سورة الفتح، و الآية:" وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (19) ". من سورة يوسف. هذا ما كان من تعاملات هذه الأصوات و هذا ما كان من علل لكلّ هذه التعاملات. و الذي حدث للميم يشبه ما يحدث للتاء في صيغة افتعل حين تصعد إلى الطاء أو الدال. بتقدم ما هو أقوى منها عليها؛ الصاد والزاي.

المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

1- ابن جني سرّ صناعة الإعراب . دراسة وتحقيق . د حسن هنداوي. دار القلم دمشق الطبعة الأولى 1985 .الجزء الثاني .
2- ابن الجني. الخصائص. تحقيق أ. محمد علي النجّار. دار الهدى للطباعة و النشر بيروت لبنان. الطبعة الثانية.
3- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. الكتاب. تح عبد السلام محمد هارون. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة 2. 1982. مكتبة الخانجي القاهرة. الجزء 4.
4- مكي بن أبي طالب القيس .الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها .تحقيق محي الدين رمضان. مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة 1987 الجزء 1.
5- محمد الأنطاكي. المحيط في أصوات العربية و نحوها و صرفها. الجزء الثالث .
6- ابراهيم أنيس. الأصوات اللغوية. الطبعة الرابعة 1961.
7- الحسناوي محمد. الفاصلة في القرآن. دار عمار. عمان. الطبعة الثانية 2000م.
8- أبو الوفا، على الله بن عليّ. القول السديد في علم التجويد. برواية حفص عن عاصم دار الوفاء الطبعة الثالثة. 2003 .
9 - حنون مبارك. الصواتة الزمنية. الوقف في اللسانيات الكلاسيكية.
10 - الهواري قارة حداش. أهمية مخارج الحروف و صفاتها في إعجاز القرآن. مخطوط أطروحة الدكتوراه. قسم اللغة العربية و آدابها. جامعة وهران.السنة الجامعية: 2010-2011.

الهوامش

1 - الهواري قارة حداش. أهمية مخارج الحروف و صفاتها في إعجاز القرآن. مخطوط أطروحة الدكتوراه. قسم اللغة العربية و آدابها. جامعة وهران. ص: 336-337.السنة الجامعية: 2010-2011.

2 - المرجع السابق. ص: 345.

3 - حنون مبارك. الصواتة الزمنية. الوقف في اللسانيات الكلاسيكية. ص 85.

4- ابن جني سرّ صناعة الإعراب . دراسة وتحقيق . د حسن هنداوي. دار القلم دمشق الطبعة الأولى 1985 .الجزء الثاني .ص 435.

5- ابراهيم أنيس. الأصوات اللغوية. الطبعة الرابعة 1961.ص 66.

6- المرجع نفسه ص 67.

7- مكي بن أبي طالب القيس .الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها .تحقيق محي الدين رمضان. مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة 1987 الجزء 1 ص 134.

8- سورة البقرة. الآية .11.

9- سورة الزخرف. الآية: 82.

10- سورة البقرة. الآية. .51

11- سورة البقرة. الآية. 13.

12- سورة البقرة. الآية: .68

13- سورة البقرة. الآية: 71.

14- سورة البقرة. الآية: 26.

15- سورة البقرة. الآية:..60

16- سورة البقرة. الآية:..105

17- سورة البقرة. الآية: 23.

18- سورة البقرة. الآية: .61

19- سورة القمر. الآية: 17.

20- سورة المؤمنون. الآية: 97.

21- سورة الأنبياء. الآية: 56.

22-سورة الكهف. الآية: 22.

23- سورة البقرة. الآية: 56.

24- سورة البقرة. الآية: 96.

25- سورة البقرة. الآية: 95.

26- سورة البقرة. الآية: 97.

27- سورة القمر. الآية: 17.

28- سورة الجمعة. الآية: 11.

29- سورة الحاقة. الآية: 26.

30- سورة المعارج. الآية: 21.

31- سورة المزمل. الآية: 20.

32- سورة شورى. الآية: 8.

33- سورة غافر. الآية: 21.

34- سورة الرعد. الآية: 11.

35- سورة البقرة. الآية: 105.

36- سورة البقرة. الآية: 105.

37- سورة النساء. الآية: 116.

38- ابن جني. سرّ صناعة العرب. دراسة و تحقيق. د حسن هنداوي. ص 439.

39- ابن جني. سرّ صناعة العرب. دراسة و تحقيق. د حسن هنداوي. ص 440.

40- محمد الأنطاكي. المحيط في أصوات العربية و نحوها و صرفها. الجزء الثالث من ص 91 إلى 248 بتصرف.
41- سورة يوسف. الآية: 32.
42- سورة التوبة. الآية: 40.
43- سورة ق. الآية: 1.
44- سورة القلم. الآية: 1.
45- سورة القلم. الآية: 20.
46- ابن الجني. الخصائص. تحقيق أ. محمد علي النجّار. دار الهدى للطباعة و النشر بيروت لبنان. الطبعة الثانية. ص 35.
47- ابن جني. سرّ صناعة العرب. دراسة و تحقيق. د حسن هنداوي. ص 489.
48- الحسناوي محمد. الفاصلة في القرآن. دار عمار. عمان. الطبعة الثانية 2000م. من الصفحة 295 إلى الصفحة 298. بتصرف.
49- الهواري قارة حداش. المخطوط نفسه. ص 452.
50- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. الكتاب. تح عبد السلام محمد هارون. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة 2. 1982. مكتبة الخانجي القاهرة. الجزء 4.ص 204.
51- الهواري قارة حداش. المخطوط نفسه. ص 403.
52- أبو الوفاء على الله بن عليّ. المرجع نفسه. الصفحة 124.
53- الحسناوي محمد: المرجع نفسه: ص 196/ 197.
54- الهواري قارة حداش. المخطوط نفسه. من الصفحة 416 إلى 445.
55- الهواري قارة حداش. المخطوط نفسه. ص 375.
56- الهواري قارة حداش. المخطوط نفسه. ص 12.
57-سورة القلم. الآية: 52.